مستقبل الزراعة المصرية *

بقلم

حضرة صاحب السعادة مصبوم عنانه باشا

يجب أن نلقى نظرة خاطفة على الماضى القريب لنستطيع تعرف الطريق الذى تسير فيه الزراعة المصرية وما ستنتهى إليه فى مستقبلها .

أخذت الزراعة المصرية تتجه اتجاها جديدا منذ عهد المغفور له فؤاد الأول ، فقد كان رحمه الله من المؤمنين بفضل العلم ، عمل على تأسيس معاهده قبل أن يتولى الحكم ،

* نشرت بالفرنسية فى العدد الخاص الذى اصدرته جريدة جورنال دى إيجبت المصرية لمناسبة عيد ميلاد جلالة الملك فاروق فى ١١ فبراير ١٩٤٨ .

وشجع القائمين بالبحوث العلمية بمختلف وسائل التشجيع ، وسار ابنه الفاروق على منهج أبيه العظيم . وأنتجت البحوث العلمية وتجاربها نتائج ملموسة الأثر، فرأينا اصناف الحاصلات ترتفع جودة وغلة بفضل عمليات التربية على اختلافها ، وازداد اقبال الزراع على مقاومة آفات الحقل والبستان بما استنبط من وسائل المقاومة ، وتقدمت طرق الزراعة والتسميد فى ضوء نتائج التجارب الفنية ، ورأينا استصلاح الأراضى يتبع البحوث الكيميائية وتجارب الرى والصرف ، كما أن تربية الحيوان نهضت معتمدة على البحوث الفنية سواء فى تربيتها أو علفها أو خدمتها .

وكان أول تطبيق للأساليب العلمية فى الزراعة على نطاق واسع فى مزارع الخاصة الملكية ، فأصبحت نموذجية فى وضعها وإدارتها ، وعملت على تنويع الاستغلال الزراعى فأنشئت فيها البساتين ومزارع الخضر والدواجن ، واعتنت بتربية المماشية وصناعة الألبان والمنتوجات الزراعية وأخذ البعض من كبار الزراع يقتدى بهذه النماذج الجيدة وابتدأ التنافس بينهم فى هذا المضمار .

وقد اهتم المغفور له فؤاد الأول وابنه من بعـــده بالتوسع فى غرس البساتين فأرسلت البعثات لاستجلاب الأصناف الفاخرة من الفاكهة ، وأصبحت بساتين الخاصة الملكية فى مقدمة بساتين العالم من جهة المحصول وجودة الثمار . وقد دب هذا النشاط فى القطر عامة ، فازداد اهتمام الزراع بغرس البســـاتين والعناية بها والصناعات المرتبطة بمنتوجاتها .

ولم يغفل الملك الراحل وابنه العظيم الناحية الاجتماعية والثقافية لزراع الأرض فأن أبنية العزب فى مزارع الخاصة الملكية اقيمت على أحسن طراز ، ومن العبارات المأثورة لجلالة الملك فاروق قوله : إن ملكية الأرض هى فى الواقع خدمة اجتماعية . وقد عمل بهذا المبدأ السامى فى مزارعه الخاصة ، فعنى بشأن كل عامل فى هذه المزارع وتوفير أسباب المعيشة الهنيئة له ، ولهذا أثره فى زيادة جهود عمال الزراعة وارتفاع مستوى معيشتهم . وقد أخذ النشاط فى هذه الناحية يدب فى الريف المصرى ، فرأينا البعض من كبار الزراع يتبرعون بالأرض والمال لانشاء المستشفيات والوحدات الصحية والمدارس . كما أن العلاقة بين المالك والمستأجر تبدلت لفائدة صغار الزراع .

وقد عنى مولانا فاروق الأول عناية خاصة بتعمير الصحراوات ، فجاب بنفسه فى أرجائها متفقداً شئونها، عاطفاً على ساكنيها. محتملا فى هذا السبيل مشقة السفر فى الطرق الوعرة ،غير حافل باخطار ذلك،وقد كان لذلك صداه فانشئت محطات التجارب لاستنبات ما يصلح غرسه فى الأراضى الصحراوية من أصناف الفاكهة والنباتات الطبية والاقتصادية المختلفة . كما عنى بتوفير الرى من الآبار الرومانية القديمة فى منطقة مريوط ،ووضع مشروع لخزن مياه السيول والانتفاع بها فى رى مساحة واسعة من شبه جزيرة سينا. وقد عنيت وزارة الزراعة بتوزيع شتلات الزيتون مجانا على أهالى الصحراء ، وأقامت المصانع لاستخراج الزيت وتجفيف البلح وتعبئته ، كما أن زراعة التين انتشرت فى السنوات الأخيرة بمنطقة مريوط ودرت على زارعيها أرباحا وافرة .

وقد درست وصممت عدة مشروعات لتحسين الرى والصرف ونفذ الكثير منها ولهذه المشروعات اثرها فى زيادة مساحة الأرض المزروعة وزيادة غلة المساحة الحالية .

وقد صدر فى عهد مليكنا الفاروق قانون للاصلاح الزراعى القروى يرمى إلى رفع مستوى الانتاج بتطبيق الأساليب الزراعية التى أوضحت التجارب فائدتها ،وذلك بانشاء مجموعات زراعية وبيطرية لإرشاد الزراع ومعاونتهم فى مختلف نواحى الإنتاج الزراعى، سواء فى زراعة الحاصلات أو البساتين أو تربية الماشية أو الصناعات الريفية .ويشترك الزراع فى أعمالها اشتراكا يزداد مع الوقت حتى تصبح لكل منطقة مجموعة زراعية تعمل بالاشتراك مع أهل المنطقة فى جميع الشئون الزراعية فتربى العنز الممتازة من الحيوان والدواجن ،وتحتفظ بالطلائق الاصيلة لتوليد حيوانات الزراع وتربى الشتلات والبزور وتمدهم بها وتجرى التجارب المحلية للافادة بنتائجها ، وتعمل على علاج الأمراض والآفات النباتية والحيوانية والنهوض بالصناعات الريفية وما إلى ذلك ، وقد رصدت فى ميزانية الدولة الأموال اللازمة للنهوض بالمشروع تدريجا .

ولم تلق زراعة أشجار الغابات مثل العناية التى وجدتها فى عهد الملك فاروق ، فقد غرس بيده الكريمة أول شجرة فى غابة فاروق بالفيوم ، وتلا ذلك التوسع فى غرس الأشجار الخشبية ، وصدر قانون يشجع وينظم زراعتها على حواف الترع والطرق وانتشرت زراعتها نتيجة لذلك .

وقد شعرت البلاد أثناء الحرب الأخيرة بأزمة المخصبات الكيميائية لتعذر استيراد القدر الكافى منها ، لهذا وضعت المشروعات لصنع هذه المخصبات محليا سواء بالإفادة بالقوة الكهربائية التى تولد من خزان اسوان ، أو بانشاء الشركات لصنع هذه الأسمدة بوسائل أخرى . ولا شك أن توافر هذه المخصبات محليا وما يرجى من خفض سعرها مما يؤدى إلى زيادة استعمالها وارتفاع غلات الحاصلات نتيجة لذلك .

وقد حاولت البلاد قبيل الحرب أن تفتح أسواقا فى أوربا للخضر والفاكهة وصادفت نجاحاً فى ذلك ، واستدعت الحرب التوسع فى زراعة الخضر لتموين الجيوش التى نزلت بالبلاد ، وكسب الزراع خبرة فى ذلك ، ويرجى أن يؤدى ذلك إلى التقدم فى زراعة الخضر والعودة إلى تصديرها هي والفاكهة إلى أسواق أوربا فى مواسم ندرتها هناك ، ويساعد على النجاح فى ذلك ملاءمة جو البلاد لزراعة مختلف أنواع الخضر ونضجها فى فصل الشتاء .

وقد توسعت البلاد فى زراعة البطاطس بوجه خاص أثناء الحرب ، وذاق زارعوه كسباً مشجعاً على الاستمرار فى هذه الزراعة خصوصاً وقد ثبت رواج العروة الشتوية من المحصول المصرى فى التصدير إلى الخارج .

ولا يسع من يزور معارض الأزهار التى تقيمها جمعية فلاحة البساتين إلا الاعتراف بأن هناك رقياً واضحاً فى هذه الناحية ولهذا الرقى أثره فى إفساح المجال لتصدير الورد والأزهار إلى أوربا فى فصل الشتاء أو فى زراعة الأزهار من أجل بزورها والاتجار بهذه البزور فى أسواق العالم ، وينطبق ذلك على زراعة الخضر بقصد الإتجار ببزورها فى الأسواق الأجنبية . وقد بدأت البلاد فعلا فى الاتجاه إلى ذلك وصادف ذلك نجاحا يشجع على التوسع فيه .

وقد بدأ نشاط أيضاً فى زراعة النباتات الطبية للتصدير أو لاستخراج عناصرها الطبية فى المصانع المصرية ، وفى تقطير العطور واستخراج زيت الثوم كما وضعت المشروعات لتحضير المبيدات الحشرية محليا .

وقد نهضت البلاد نهضة صناعية موفقة ، ولهذه النهضة علاقة وثيقة بالزراعة سواء باعتماد البعض منها على خامات زراعية ، أو للأثر الاقتصادى الذى يترتب على اعتماد سكان المدن التى تنمو فيها هذه الصناعات فى غذائهم على الريف فيرتفع دخل الزارع من زراعة الحبوب والخضر والفاكهة والأزهار وإنتاج اللحوم والألبان وما إلى ذلك .

وقد تقدمت الصناعات الزراعية تقدماً لا بأس به ، فقد أمكن النهوض بصناعة الجبن وتحضير عدة أصناف أجنبية كان القطر يعتمد على استيرادها من الخارج وارتقت صناعة النبيذ الذى تحضره بعض الشركات فى مصر ، وأصبحت بعض أصنافه لا تقل جودة عما يستورد من الخارج ، وزاد استهلاك البلاد من المشروبات الكحولية التى تعد فى مصر مقابل النقص فيما يستورد منها ، كذلك تقدمت صناعة حفظ المأكولات على مختلف ضروب هذا الحفظ ، وأنشئت المعامل لتجفيف البصل والثوم وغيرهما ولعمل المربيات والشراب والمحفوظات ، ونجحت وزارة الزراعة فى إعداد خيوط الجراحة من غدد ديدان القز ، وأمكن إمداد المستشفيات بحاجتها من هذه الخيوط أثناء الحرب مع تصدير مقادير تذكر منها إلى بعض البلاد الأجنبية ، ولا شك أن المجال ما زال يتسع للنهوض بالصناعات الزراعية المختلفة .

وقد شعر المفكرون بأن الأعمال الزراعية لا تأخذ من وقت عمالها إلا شطراً محدوداً لارتباط العمليات الزراعية بمواسم وأوقات معينة ، لهذا كان من الضرورى لرفع مستوى معيشة العاملين فى الزراعة اشتغالهم بصناعات منزلية فى أوقات خمول العمل الزراعى ، وقد كان للمراكز الاجتماعية التى أنشأتها وزارة الشئون الاجتماعية فضل إدخال الصناعات اليدوية الريفية فى بعض البلاد التى أنشئت فيها هذه المراكز كصناعة الحصر والجريد والسجاد وما إلى ذلك ، وقد وضحت فائدة ذلك فى زيادة رفاهية أهل الريف .

وخلاصة القول أن البلاد قادمة على زيادة أراضيها الزراعية بنحو ثلاثة أرباع المليون من الفدادين إذا ما تمت مشروعات الرى علاوة على استغلال مساحات فى الصحراوات فى زراعة اللوز والزيتون وما تصلح له من فواكه أخرى وحاصلات ونباتات اقتصادية . وأن المساحة الحالية ستزداد غلتها بفضل تحسين صرف المياه من باطن الأرض واتباع الأساليب العلمية فى الزراعة وجودة البزور التى تزرع ، وتوافر المخصبات والانتفاع بالبحوث الفنية فى مقاومة الآفات ، كما أن حاصلات الحقل والبستان تتقدم جودة نتيجة لعمليات توليد الأصناف المحسنة .

وقد اضطرتنا الحرب الأخيرة للخروج عن المألوف فى أوضاعنا الزراعية فوضعت التشريعات للتوسع فى زراعة الحبوب وإنقاص مساحة القطن . ولا مفر من التزامنا هذه السياسة حتى تستقر الأحوال العالمية وتعود المياه إلى مجاريها فنستطيع إذ ذاك أن نتحول تدريجاً نحو الوضع السليم لانتاجنا الزراعى ، ومن مستلزمات هذا الوضع أن نعمل أولا على كفاية الأغذية للشعب المصرى خصوصاً تلك الأغذية التى لا يمكن الاعتماد فيها على ما يمكن أن نستورده من الخارج ، لصعوبة شحنه أو تعرضه للفساد أثناء النقل ، ويستدعى ذلك التوسع فى زراعة الخضر والفاكهة وتربية اللحوم والأسماك .

ويتسع المجال لتوسع البلاد فى زراعة البطاطس والخضر والفاكهة والأزهار وبزور الخضر والأزهار والنباتات الطبية للتصدير إلى الخارج ، كما سيزداد النشاط فى الصناعات الزراعية والصناعات الريفية مما يرفع من المستوى الاقتصادى لأهل الزراعة .

وقد دبت نهضة اجتماعية مباركة فى الريف لا بد أن تتابع مجراها فيرتفع مستوى الصحة والمعيشة والثقافة لساكنى الريف ، حقق الله الآمال .